Available at:
https://journal.inpasonline.com/index.php/iworldview
DOI: 00000000000000000000

E-ISSN: 0000-0000
P-ISSN: 0000-0000

iWorldview
Interdisciplinary Journal of Islamic Thought and Civilizations

submitted: 08-05-2023 | reviewed: 01-06-2023 | revised: 13-07-2023 | accepted: 01-08-2023

مفهوم الغزالي للأخلاق بين العقلانية والتدين

Bahrul Ulum
STAI YPBWI Surabaya
Email: bahrul32@stai-ypbwi.ac.id

Akhmad Hasan Saleh
IAIN Kediri
Email: hasol@iainkediri.ac.id

ملخص

مفهوم الغزالي للأخلاق يرتبط ارتباطًا وثيقًا بين العقلانية والتدين. الغزالي، الذي كان مفكرًا مسلمًا بارزًا في القرن الحادي عشر الميلادي، سعى إلى توحيد الفلسفة والدين. الغزالي لم يركز فقط على الفلسفة أو الدين بشكل منفصل. بدلاً من ذلك، سعى إلى دمج بينهما. في كتابه "تهافت الفلاسفة," يهجم على الفلاسفة الذين يرفضون الدين، ويقدم نظريات حول السببية والقدر الإلهي لتحديد موقفه من العقلانية والدين.الغزالي يركز على الأخلاق في سياق إحياء العلوم الدينية. يعتقد أن الأخلاق هي جزء لا يتجزأ من التدين، ويتعامل معها على أنها وسيلة لتحقيق التوازن بين العقل والقلب. يؤكد على أهمية الأخلاق في بناء شخصية الإنسان المسلم. الغزالي يعتقد أن العقل والدين هما مكونان أساسيان للفكر الإنساني. يرى أن الدين لا يتعارض مع العلوم، بل يمكن أن يتوافق معها. هذا الرأي يظهر في تعريف الدين عند الفلاسفة، حيث يُعتبر الدين عقيدة وشريعة وأخلاق. يُظهر الغزالي أن الأخلاق هي هيئة النفس الباطنة، وليست مجرد فعل أو قدرة على الجميل أو القبيح. هذا التأكيد يظهر مدى عمق تفكيره في الأخلاق وتأصيلها. الغزالي يؤكد على أهمية تواصل بين العقل والقلب في فهم الأخلاق. يعتقد أن الإيمان الحقيقي يعتمد على توحيد بين اليقين والشعور، مما يؤدي إلى تطور الشخصية المسلمة. في نهاية المطاف، يظهر مفهوم الغزالي للأخلاق كتوحيد بين العقلانية والتدين، حيث يعتقد أن الأخلاق هي جزء لا يتجزأ من التدين، ويمكن أن توحد بين الفلسفة والدين لتحقيق التوازن بين العقل والقلب.

الكلمات المفتاحية : الغزالى، الأخلاق، العقلانية، التدين

Abstract

Al-Ghazali's concept of ethics is closely linked to rationalism and religiosity. Al-Ghazali, a prominent Muslim thinker of the 11th century, sought to unify philosophy and religion. Al-Ghazali did not focus solely on philosophy or religion separately. Rather, he sought to integrate them. In his book, The Incoherence of the Philosophers, he attacks philosophers who reject religion, and presents theories of causality and divine destiny to define his position on rationalism and religion. Al-Ghazali focuses on ethics in the context of reviving religious sciences. He believes that ethics are an integral part of religiosity, and treats them as a means of achieving a balance between the mind and the heart. He emphasizes the importance of ethics in building the character of the Muslim person. Al-Ghazali believes that reason and religion are essential components of human thought. He believes that religion does not conflict with science, but can be compatible with it. This view is reflected in the philosophers' definition of religion, where religion is considered belief, law, and ethics. Al-Ghazali shows that ethics is the inner state of the soul, not just an act or capacity for beauty or ugliness. This assertion shows the depth of his thinking about ethics and its foundations. Al-Ghazali emphasizes the importance of communication between the mind and the heart in understanding ethics. He believes that true faith depends on unifying certainty and feeling, which leads to the development of the Muslim personality. Ultimately, Al-Ghazali's concept of ethics appears as a unification between rationality and religiosity, as he believes that ethics is an integral part of religiosity, and can unite philosophy and religion to achieve a balance between the mind and the heart.

Keywords: Al-Ghazali, ethics, rationality, religiosity

مقدمة

تعتبر العقلانية من أبرز التيارات الفكرية التي تركت بصمتها الواضحة في مسيرة تطور الفكر البشري. فهي ليست مجرد مفهوم فلسفي عابر، بل هي رؤية شاملة ترتبط باستخدام العقل كأداة أساسية لفهم العالم وتفسير ظواهره. نشأت العقلانية كحركة فكرية تدعو إلى تجاوز حدود الموروث والتقاليد، وتركز على استخدام التفكير النقدي والتحليل المنطقي كوسيلة للوصول إلى الحقيقة.

العقلانية تتأسس على قناعة مفادها أن الحقيقة لا يمكن أن تُفهم إلا من خلال التفكير المنهجي والاستدلال العقلي، بعيدًا عن التأثيرات العاطفية أو الاعتماد المطلق على التجارب الحسية. وفقًا لهذا المنظور، يتمحور مفهوم العقلانية حول قدرة الإنسان على تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية من خلال قوانين المنطق والنظم العقلية، وهو ما ينعكس في العديد من المجالات مثل الفلسفة، العلوم، السياسة، وحتى الأخلاق.

تطورت العقلانية عبر العصور بدءًا من الفلسفة الإغريقية التي اعتمدت على العقل كمصدر وحيد للمعرفة، وصولاً إلى الفلسفة الأوروبية الحديثة التي أكدت على العقلانية كأساس لبناء العلوم والمعارف الإنسانية. كان رينيه ديكارت، وباروخ سبينوزا، وغوتفريد لايبنتز من أبرز الفلاسفة الذين وضعوا أسس العقلانية الحديثة، حيث أكدوا على قدرة العقل في استنباط الحقائق دون الاعتماد على التجربة الحسية وحدها.

العقلانية لم تكن مجرد حركة فلسفية، بل تبلورت كمنهج معرفي يتحدى الأفكار التقليدية ويطرح أسئلة جوهرية حول طبيعة المعرفة ومصادرها. كان هذا المنهج بمثابة القاعدة التي انطلقت منها الفلسفات الحديثة لتطوير مفاهيم مثل المنهج العلمي، الذي يقوم على التحليل المنطقي والدليل التجريبي في آن واحد.

في الفكر الإسلامي، حظيت العقلانية بمكانة هامة، وإن كانت تختلف في مضمونها وأهدافها عن نظيرتها الغربية. دعا الإسلام إلى التعقل والتدبر كجزء من الإيمان، مشيرًا إلى أهمية العقل في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام. ومع ذلك، وضع الإسلام حدودًا للعقلانية، بحيث لا تتجاوز الإطار الذي حدده الوحي.

أبرز العلماء المسلمين الذين تناولوا العقلانية كان الإمام الغزالي، الذي سعى إلى الموازنة بين العقل والوحي. في كتابه "تهافت الفلاسفة"، انتقد الغزالي الفلاسفة الذين بالغوا في استخدام العقل ورفضوا الوحي كمصدر للمعرفة. بالنسبة له، العقل أداة هامة لفهم الشريعة، ولكنه ليس المصدر الوحيد للمعرفة. يؤكد الغزالي أن التكامل بين العقل والوحي هو السبيل لتحقيق الفضيلة والسلوك الأخلاقي القويم.

تثير العقلانية جدلاً واسعًا عندما يتعلق الأمر بالأخلاق والدين، حيث تتباين الرؤى حول دور العقل في تشكيل القيم والمبادئ الأخلاقية. يرى البعض أن الأخلاق يمكن تأسيسها على أسس عقلية بحتة، بينما يعتقد آخرون أن الدين ضروري لتحديد الإطار القيمي الذي يوجه الإنسان نحو الخير.

في هذا السياق، قدم الغزالي رؤية متوازنة تعترف بأهمية العقل في تمييز الخير من الشر، ولكنها تؤكد في الوقت ذاته على الدور الحاسم للوحي في تقديم المبادئ الأخلاقية التي تنظم حياة الإنسان. يرى الغزالي أن الأخلاق ليست مجرد قواعد عقلية، بل هي نظام شامل يستمد قيمته من الشريعة الإسلامية.

من النقاط التي أثارت اهتمام الفلاسفة العقلانيين والإسلاميين على حد سواء هو مفهوم السببية. العقلانيون الغربيون، مثل ديكارت ولايبنتز، جادلوا بأن السببية قانون منطقي لا يمكن إنكاره، بينما اعتبر الغزالي أن السببية ليست ضرورة حتمية، بل هي مجرد عادة وضعها الله في الكون.

في كتابه "تهافت الفلاسفة"، يشير الغزالي إلى أن الله هو القوة الحقيقية وراء الأحداث الطبيعية، وأن العلاقة السببية بين الظواهر ليست أكثر من اقتران اعتاد البشر على ملاحظته. هذه الرؤية تعكس رفض الغزالي لفكرة أن العالم يخضع لقوانين ثابتة ومستقلة عن الإرادة الإلهية، وتؤكد على الإيمان بقدرة الله المطلقة على تغيير هذه القوانين متى شاء.

على الرغم من تركيزها على العقل، إلا أن العقلانية لم تتجاهل البعد الروحي للإنسان. هذا البعد يتجلى بوضوح في الفكر الصوفي الذي يوازن بين العقلانية والإيمان. في هذا السياق، يرى الغزالي أن التصوف هو تجربة روحية تتجاوز العقل، ولكنها لا تتعارض معه. التصوف يساعد الإنسان على تحقيق إدراك أعمق للحقائق الأخلاقية والروحية التي قد تعجز العقلانية المجردة عن استيعابها.

في العصر الحديث، واجهت العقلانية تحديات جديدة مع تطور العلوم والتكنولوجيا. أصبحت الأسئلة حول حدود العقلانية أكثر إلحاحًا، خاصة في ظل التقدم العلمي الذي يكشف عن ظواهر معقدة يصعب تفسيرها من خلال المنطق التقليدي.

في الوقت نفسه، توفر العقلانية أدوات فعالة للتعامل مع المشكلات المعاصرة، مثل التغير المناخي والعدالة الاجتماعية. بفضل قدرتها على تحليل المعلومات واتخاذ قرارات مستنيرة، تظل العقلانية منهجًا حيويًا لتوجيه الفكر الإنساني نحو حلول مستدامة وعادلة.

العقلانية ليست مجرد منهج معرفي، بل هي إطار شامل لفهم العالم وتفسيره. ورغم اختلاف مظاهرها بين الثقافات والفلسفات، إلا أنها تشترك في إيمانها العميق بقدرة العقل على تحقيق المعرفة وتوجيه الإنسان نحو الأفضل. في الفكر الإسلامي، تظهر العقلانية كدعوة للتعقل والتدبر، ولكنها تظل محكومة بإطار الوحي الذي يوفر البوصلة الأخلاقية والقيمية. وتبقى العقلانية جسرًا يربط بين الفكر البشري وإمكاناته اللامحدودة، وهي بذلك تساهم في تشكيل عالم أكثر عدلاً ووعياً.

مفهوم العقلانية

يُعرّف العقلانية على أنها حركة فكرية تعتبر العقل مصدرًا واختبارًا للمعرفة.[1] هي مفهوم فلسفي يرتبط باستخدام العقل كوسيلة أساسية لفهم العالم واتخاذ القرارات. تعتمد العقلانية على التفكير النقدي والتحليل المنطقي في التعامل مع الأفكار والمعلومات، وتفضل استخدام الدلائل والبرهان على العواطف أو التقاليد في اتخاذ القرارات.

تعتبر العقلانية حركة فلسفية تؤكد على دور العقل في توليد المعرفة الصحيحة. تعتقد أن المعرفة يمكن أن تُستنبط من خلال الاستدلال العقلي دون الحاجة إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية. ترى العقلانية أيضا أن الأفراد يمكنهم الاستعاضة عن الحواس والبعض من التعاليم بالعقل والمنطق لفهم الأمور واستيعابها.

[1] Lacey, A.R. (1996), *A Dictionary of Philosophy*, 1st edition, Routledge and Kegan Paul, 1976. 2nd edition, 1986. 3rd edition, Routledge, London, UK, 1996. p. 286

كانت العقلانية تعاكس التجريبية، إذ آمن العقلانيون بأن الحقيقة لها هيكل جوهري منطقي. ولهذا السبب، جادل هم بوجود حقائق معينة وأن العقل يمكن أن يفهم هذه الحقائق بشكل مباشر. وهذا يعني أن هناك بعض المبادئ المنطقية الموجودة في المنطق والرياضيات والأخلاقيات وما وراء الطبيعة والتي تكون صحيحة أساسًا لدرجة أن إنكارها يتسبب بوقوع الفرد في حالة من التناقض. امتلك العقلانيون ثقة عالية في العقل فقد اعتُبرت الإثباتات التجريبية والأدلة المادية غير ضرورية لتأكيد بعض الحقائق. بمعنى آخر، «هناك طرق هامة نكسب من خلالها مفاهيمنا ومعرفتنا بشكل مستقل عن التجربة الحسية[2]»

تشير العقلانية إلى الاعتقاد بأن العالم يمكن فهمه من خلال قواعد العقل والمنطق، وأن الحقيقة يمكن الوصول إليها عبر التفكير المنظم والممنهج. وهي تتجلى في العديد من المجالات مثل الفلسفة، والعلوم، والسياسة، حيث تركز على وضع الأسس النظرية والتطبيقات العملية التي تعتمد على الدليل العقلي والتجريبي. وبناء على الفهم أعلاه، فليس من الخطأ عند ما تعرّف العقلانية على أنها المنهجية أو النظرية التي يكون معيار الحقيقة فيها فكريًا واستنباطيًا وليس حسيًا.[3]

وتطورها. من بين أشهر التيارات العقلانية نجد "العقلانية الفلسفية" التي أكد عليها الفلاسفة مثل رينيه ديكارت وسبينوزا وليبنتز، والتي تعتقد أن العقل هو المصدر الأساسي للمعرفة، مقابل التجريبية التي تركز على التجربة الحسية كمصدر للمعرفة.

في الفكر الإسلامي، يُعتبر العقلانية مقبولة ولكن يرفض الإسلام العقلانية الجذرية التي ترفض أي مصدر للمعرفة غير العقل. يُدعو إلى التعقل المبني على برهنة محكمة كمرحلة من مراحل التفكير من أجل الوصول إلى الحقيقة.

[2] Stanford Encyclopedia of Philosophy, Rationalism vs. Empiricism First published August 19, 2004; substantive revision March 31, 2013 cited on May 20, 2013. 9 نسخة محفوظة أغسطس 2019 على موقع واي باك مشين.

[3] Bourke, Vernon J., "Rationalism," p. 263 in Runes (1962).

الأخلاق عند الغزايلى بين العقلانية والتدين

أبو حامد الغزالي (1058-1111) كان أحد أهم الفلاسفة والمتصوفة في تاريخ الإسلام. نظرته للأخلاق تتأثر بشكل كبير بتوازن بين العقل والدين، وهو ما يميز مفهومه عن الأخلاق. الغزالي يرى أن الأخلاق ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالدين. يعتبر أن الفضائل الأخلاقية تأتي من التزام الإنسان بالشريعة الإسلامية وتطبيقها في حياته اليومية. يرى أن الأخلاق ليست مجرد سلوكيات خارجية، بل هي صفات داخلية يجب على المؤمن أن يسعى لتحسينها. في هذا السياق، يتحدث الغزالي عن "تزكية النفس" أو "تهذيب الأخلاق"، وهي عملية تطهير الروح من الرذائل والتحلي بالفضائل.

رغم تركيزه الكبير على الدين، لم يهمل الغزالي دور العقل في تكوين الأخلاق. في كتابه "إحياء علوم الدين"، يناقش الغزالي أهمية استخدام العقل لتوجيه النفس نحو الخير وتجنب الشر. العقل، حسب رأيه، هو الوسيلة التي تمكن الإنسان من فهم الشريعة وتطبيقها بشكل صحيح. بدون العقل، لا يستطيع الإنسان التمييز بين الحق والباطل، أو بين الخير والشر.

الغزالي يسعى لإيجاد توازن بين العقل والدين في مسألة الأخلاق. فهو يرى أن العقل والدين يجب أن يعملان معًا لتحقيق الفضيلة. الدين يوفر القواعد والمبادئ التي ينبغي على الإنسان اتباعها، بينما يساعد العقل في تفسير هذه القواعد وتطبيقها بوعي وإدراك. إذا تم تهميش أحدهما، فإن الإنسان قد ينحرف عن الطريق الصحيح، سواء كان ذلك بالاعتماد المفرط على العقل دون اعتبار للدين، أو العكس.

جانب آخر من أخلاق الغزالي يرتبط بتصوفه. من خلال تجربته الصوفية، يعتبر أن الوصول إلى الأخلاق المثلى يتطلب تجربة روحية تتجاوز العقلانيات الصارمة. التصوف يساعد الإنسان في الارتقاء بأخلاقه من خلال التأمل والتواصل مع الله بشكل أعمق. في النهاية، يرى الغزالي أن الأخلاق الحقيقية تتطلب تكاملاً بين العقل والدين، حيث يعملان معًا لتوجيه الإنسان نحو الفضيلة والحق.

في "الإحياء علوم الدين"، تناول الإمام الغزالي موضوع الأخلاق بشكل واسع، وقدّم وجهات نظره حول أساس الأخلاق ومفهومها. واعتمد في ذلك على الإسلام وتعاليمه كمصدر رئيسي للأخلاق. وفقًا للغزالي، الأخلاق تتجذر في الإيمان والتقوى والتزام الفرد

iWorldview
Interdisciplinary Journal of Islamic Thought and Civilizations
Volume 01/No. 01/Desember 2024
p-ISSN: 0000-0000, e-ISSN: 0000-0000

بتعاليم الدين. إذا كان الإنسان يؤمن بالله ويتقيه، فإن هذا سينعكس على سلوكه وأخلاقه. الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها تلك الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"[4].

ومن خلال هذا التعريف نجد أن الغزالي قد وضع مقياساً أخلاقيا هو الشرع والعقل، حيث اعتبرهما الميزان الذى يزن به العبد أخلاقه ، فإذا طابقت أخلاقه ما أمر به الشرع وما وافق العقل السليم فقد سار الإنسان على طريق الخير والاستقامة وما خالفهما من أفعال يعتبر انحطاطا ونقصاً. ويرى الغزالي أن حسن الخلق لا يتحقق به الإنسان إلا عندما "يزيل جميع العادات السيئة التي عرف الشرع تفاصيلها، ويجعلها بحيث ينفضها فيتجنبها كما يتجنب المستقذرات، وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها ويتنعم بها."[5]

تؤكد فلسفته الأخلاقية الغزالى على أهمية العقل والوحي في تشكيل السلوك الأخلاقي. إنه يرى أن تفوق الإنسان على المخلوقات الأخرى يكمن في قدرته على التعرف على الله.[6] كل ما في الأمر أن تأكيد الغزالي على منهج السلطة الدينية كأساس للأخلاق يعتبر بمثابة تجاهل للاعتبارات العقلانية والموضوعية. بالطبع هذا النوع من التقييم ليس صحيحًا تمامًا. من المهم أن نتذكر أن الأحكام حول عقلانية الفكر غالبًا ما تستند إلى وجهات نظر ومقاربات فلسفية مختلفة. لا يوجد أساس أو حجة قوية للقول بأن الأخلاق الصوفية تتنصل بطبيعتها من قانون السببية.

غالبًا ما تهتم الأخلاق الصوفية بالبصيرة الروحية والتجربة الفائقة والفهم العميق للذات والكون. إنه ينطوي على التفكير الفلسفي والديني وغالبًا ما يرتبط بممارسة التأمل أو التأمل أو التجارب الصوفية. ترتبط الأخلاق الصوفية أكثر بمفاهيم الأخلاق والآداب العامة. ، والتي غالبًا ما تتضمن أسئلة حول كيف يجب أن يعيش المرء ، وكيفية الارتباط بالآخرين ، وكيفية تحقيق الإدراك الروحي. عادة ما ترتبط الأخلاق الصوفية بمعتقدات الفرد ووجهات نظره الشخصية ، ويمكن أن تختلف هذه الآراء بشكل كبير بين الأفراد المختلفين. لذلك ،

---

[4]الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرف, بيروت، ، (دون السنة), ج 3, ص 53

[5]الغزالي , ميزان العمل ، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،(1964م) ط1، ص 47

[6] Naseema Bano, Ethical Philosophy Of Al-Ghazali: An Analytical Insight, International Journal in Management and Social Science (Impact Factor- 6.178), Vol.05 Issue-07, (July, 2017) ISSN: 2321-1784,p.175

من المستحيل إصدار بيان عام بأن الأخلاق الصوفية تتنصل بشكل جماعي من قانون السببية.

من ناحية أخرى ، فإن قانون السببية هو المبدأ في الفلسفة والعلوم أن كل حدث له سبب وتأثير مرتبط به. هذا هو الأساس للعلوم الطبيعية والطريقة العلمية. على الرغم من وجود اختلافات في النهج والفهم بين الأخلاق الصوفية والعلوم الطبيعية ، فإن هذا لا يعني أن الأخلاق الصوفية تتنصل تلقائيًا من قانون السببية.

لا ينكر الغزالي وجود قانون السببية ، لكنه ينتقد الفلاسفة الذين يعتقدون أن قانون السببية هو السبيل الوحيد لفهم العالم. وفقًا للغزالي ، فإن قانون السببية ليس قانونًا محددًا ، ولكنه قانون إمكانية. وهذا يعني أننا لا يمكن أن نكون على يقين مطلق بأن حدثًا معينًا سيحدث بسبب حدث آخر. يُمكن أن يكون هناك تأثيرات غير متوقعة أو أسباب مخفية تؤدي إلى نتائج غير متوقعة. لا يمكن التأكد من قانون السببية لأن الطبيعة مليئة بالأسرار. تم الكشف عن جزء صغير فقط ، بينما لم يتم الكشف عن أجزاء أخرى.

لاحظ الغزالي أنه بالرغم من أن هناك علاقة سببية بين أحداث الطبيعة، إلا أنه يعتقد أن الله هو المبدع والمحرك الحقيقي لكل ما يحدث في الكون. وبالتالي، يمكن اعتبار الأحداث الطبيعية كأنها "عادية" ومتسلسلة بشكل طبيعي، ولكن وراء هذا التتابع يقف إرادة إلهية تقوم بتوجيه وقوف الأمور.

وأوضح الغزالي في تهافت الفلاسفة : " الاقتران بين ما يُعتَقد في العادَة سببًا وبين ما يُعتقد مُسَبَّبًا ليس ضروريًّا، بل كلُّ شيئَين ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متضمِّنًا لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمِّنًا لنفي الآخر، فليس مِن ضرورة وجودِ أحدهما وجود الآخر، ولا مِن ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل: الرِّي والشرب، والشِّبَع والأكل، والاحتراق ولقاء النار، والنور وطلوع الشمس، والموت وجَزِّ الرقبة، والشفاء وشرب الدواء، وإسهال البطن واستعمال المسهِّل، وهلمَّ جرًّا، إلى كلِّ المشاهدات من المقترنات في الطبّ والنجوم والصناعات والحِرَف،

iWorldview
Interdisciplinary Journal of Islamic Thought and Civilizations
Volume 01/No. 01/Desember 2024
p-ISSN: 0000-0000, e-ISSN: 0000-0000

فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوُق لا لكونه ضَروريًّا في نفسِه غير قابل للفوت، بل في المقدور خلق الشِّبع دون الأَكل، وخلق الموتِ دون جَزِّ الرقبة، وإدامَة الحياة مع جَزِّ الرقبة، وهلمَّ جرًّا إلى جميع المقترنات"[7].

وبحسب الغزالي فإن العلاقة ليست محمة لأنها ليست ضمانة لتحقيق نتيجة. وبالتالي ، فإن النار لا تحترق دائمًا ، لذا فإن الأَكل لا يشبع دائمًا ، ولا يؤدي قطع الحلق بالضرورة إلى الموت. كل هذا يعتبر قانونًا عرفيًا ، لأن الله سبحانه وتعالى القوة لتغيير كل ذلك. فإن النار لم تحرق النبي إبراهيم لأن النار لم تكن الموقد ، بل كانت من عمل الله بقدرة وإرادة الله, إما لأن النار غيرت طبيعتها إلى عدم الاحتراق أو تغير النبي إبراهيم. مادته إلى مادة أخرى حتى لا يحترق بالنار.

المسلك الثاني وفيه الخلاص من هذه التشنيعات وهو أن نسلم أن النار خلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه، ولكنا مع هذا نجوز أن يلقى نبي في النار فلا يحترق إما بتغيير صفة النار أو بتغيير صفة النبي فيحدث من الله أو من الملائكة صفة في النار يقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداه فيبقى معها سخونتها وتكون على صورة النار وحقيقتها ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها أو يحدث في بدن الشخص صفة ولا يخرجه عن كونه لحماً وعظماً فيدفع أثر النار[8].

وبالمثل في حالة قيام النبي عيسى بإقامة الموتى ، وتحول عصا النبي موسى إلى ثعبان ، حدث كل هذا لأنه كان يتضمن مادة قابلة للتغيير. تتحول التربة إلى نباتات ، وتأكل الحيوانات النباتات ثم تتحول إلى دم ويتحول الدم إلى نطفة من ذكور الحيوانات وعندما تلتقي بخلية بيضة في رحم أنثى حيوان فإنها تتحول إلى جنين ثم تلد ما شابه. الحيوانات. يعتمد تسلسل الأحداث على عادات تستمر لفترة طويلة نسبيًا. ولكن ليس من المستحيل أن تتحول هذه العملية الطويلة بإذن الله وقوته إلى عملية قصيرة كما كان الحال مع معجزات الأنبياء والرسل.

النار التي تحترق هي من صنع الله ، ووفقًا للفلاسفة فإن النار هي العامل المباشر للنار ، وهذه الخاصية هي يقين من طبيعة النار. مبدأ اليقين الذي هاجمه الغزالي بعد ذلك

[7] الغزالى, تهافت الفلاسفة, دار المعارف, القاهرة, مصر, ج1, ص: 237

[8] الغزالى, تهافت الفلاسفة, دار المعارف, القاهرة, مصر, ج1, ص:246

، كيف يمكن للمرء أن يثبت أن الحريق هو الفاعل؟ جادل الغزالي. إن حجة (الفيلسوف) هي فقط من خلال الملاحظة ، وهي تظهر فقط أن حدثًا واحدًا مصحوبًا بآخر ، وليس بآخر وليس له سبب آخر. لذلك ، حسب الغزالي ، فإن الله قادر على أن يصنع الرماد الأسود على القطن ، مع أنه لا يمسه نار ، وقد أكده الغزالي ، لكن الفلاسفة رفضوه. وهذا ليس مجرد تعبير عن الإمام الغزالي, بل هو قول علماء لأشاعرة كآفة، بما حاصله أنه لا تلازم ضروري أو حتمي أو مطّرد بين العلّة والمعلول، أو السبب والمسبَّب، أما ما يظهر من تلازم بينهما فليس بأكثر من اقتران بين شيئين، أو اطّراد بين حادثتين، دون أن يكون لإحداهما تأثير ضروري حقيقي حتمي مطّرد على الأخرى، بل الأمر مجرّد تجاورٍ عادي.

قال الغزالي إن النار لم تكن الجاني الحقيقي. لأنه إذا قتل شخص ما شخصًا آخر بإلقائه في النار ، فإن بالطبع إن النار ليست هي التي تقتل ذلك الشخص. إلا أن مرتكب القتل هو ذلك الشخص ، مع أن الحريق هو السبب المباشر. لذلك ، يرى الغزالي أن الأحداث المتتالية تجعل المرء يعتقد أن الظاهرة التي ظهرت في وقت سابق هي سبب للظاهرة التالية ، على الرغم من أنها مجرد عادة لا تحتاج إلى جلب الضرورة. لأن الله صنع مثل هذا الشيء وله القدرة على تغيير الخصائص الموجودة إن شاء. وبحسب الغزالي فإن الأحداث المخالفة لقوانين الطبيعة يمكن أن تحدث في أي وقت. لأن الكل في قوة ومعرفة الله المليء بالسر.

وفقًا لرؤيته، فإن الأحداث التي تخالف القوانين الطبيعية يمكن أن تحدث في أي وقت لأن الله هو من يتحكم في الكون وقوانينه. وفي نظرة الغزالي، الله هو القائم بكل شيء ومعرفته وقوته ليست محدودة. وبالتالي، يمكن لله أن يتدخل في الكون ويغير قوانينه الطبيعية إذا شاء. هذه الرؤية تعكس مفهومًا مهمًا في الفلسفة الإسلامية وهو القدرة والإرادة اللهية. وفي هذا السياق، يعتقد المسلمون أن الله لديه القدرة على فعل أي شيء، وأنه يمكنه تجاوز أو تغيير القوانين الطبيعية والأحداث الطبيعية حسب مشيئته. مهما كانت الرؤية الشخصية للفرد حول هذا الموضوع، فإن هذا المفهوم يعتبر مهمًا في الفلسفة واللاهوت الإسلامي، وهو يشكل جزءًا من النقاشات الفلسفية حول القدرة اللهية والطبيعة في الفكر الإسلامي.

هذا معنى جمع آرائه الأخلاقية بين طريقه الفلاسفة في بناء الأخلاق على حقيقة الإنسان والشريعة الإسلامية التي جاءت لتتم مكارم الأخلاق,

ولذلك، لن يصح أن يحكم أحد بأن تفكير الغزالي الذري وقع في الشك التام كما وقع هيوم في العصر التالي. ووفقا له، فإن المغزى الواضح لامتلاك رؤية ذرية للعالم هو أن الغزالي لم يتمكن من تشكيل جسم معرفي جامد يعتمد على فكرة قانون السببية. تفترض هذه القوانين عادةً الانتظام والتجانس والشمولية لسلسلة من الظواهر يمكن التنبؤ بها . ووفقا له, تركزت التوترات النفسية واللاهوتية عند الغزالي على فكرة أن الاعتراف بهذا "النظام" يعني، إلى حد ما، افتراض "الثبات الطبيعي" للآليات الطبيعية. وهذه الفكرة تتعارض مع إرادة الله المطلقة، الذي يستطيع أن يلغي هذا النظام متى شاء. لذلك، ومن أجل الحفاظ على الفكرة اللاهوتية لإرادة الله المطلقة، يعتبر الغزالي قد ضحى بالفكرة الأساسية التي تحدد أن العقل البشري يجب أن يكون "نشطا" في البحث عن قوانين السببية.

وهذا الاتهام غير صحيح لأن الغزالي في كتابه "تهافوت الفلاسفة" انتقد أفكارا فلسفية مثل مفهوم الذرة الذي تبناه فلاسفة مثل الكندي وابن سينا (ابن سينا). إلا أن انتقاد الغزالي للتفكير الذري لا يعني أنه وقع في الشك التام. وبدلاً من ذلك، أيد وجهة النظر القائلة بأن المعرفة يمكن اكتسابها من خلال الوحي والخبرة الروحية، وليس من خلال العقلانية المجردة. وشدد الغزالي على أهمية الإيمان والاعتقاد في الدين الإسلامي، وكانت نظرته للكون مبنية على نظرة دينية أكثر منها على نظرة ذرية. وقال إن فهم الكون يجب أن يتوافق مع وجهات النظر الدينية، وانتقد الفلاسفة الذين أعطوا الأولوية للعقل العقلاني على الإيمان .

وهكذا، في حين أن الغزالي ربما انتقد التفكير الذري في سياق الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى، فإن هذا لم يؤد إلى الشك الكامل الذي اقترحه هيوم. لا يزال الغزالي لديه معتقدات قوية في الدين الإسلامي وكانت آراؤه حول المعرفة أكثر لاهوتية من الشك المعرفي الذي اقترحه هيوم.

الغزالي وصف الأخلاق بأنها علم عقلاني وأيضًا كعلم ديني. لأن الغزالي العقل والشريعة يكملان بعضهما البعض. العقل وحده لا يكفي في الحياة الأخلاقية ولا الوحي ؛ كلاهما بحاجة إلى الجمع. وقال الغزالي: إن من اعتمد على الإيمان التام (المهدت التقليد) منفصلا تماما عن العقل فهو أحمق ، ورضى بالعقل وحده غير الكتاب والسنة ضل. اجمع بين هذين المبدأين ، لأن العلم العقلاني مثل الطعام المسموم ، والمعرفة الدينية هي

الترياق[9]. وهذا يعني أن الغزالي يعتبر أن الأخلاق جزء مهم من الدين والإيمان ، وهي تنظم تصرفات الإنسان وسلوكه في الحياة.

واعتبر الغزالي أن للعقل والوحي دوران متكاملان في إرشاد الإنسان في الأمور الأخلاقية. ووفقًا له ، فإن العقل يسمح للبشر بفهم المبادئ الأخلاقية العالمية من خلال التفكير والتفكير. يساعد العقل أيضًا البشر على فهم عواقب الأفعال الأخلاقية المتخذة. ومع ذلك، ذكر الغزالي أن العقل له حدود ولا يمكنه فهم جميع جوانب الأخلاق بشكل كامل. لذلك، يعتقد أن الوحي أو التوجيه الإلهي، كما هو وارد في التعاليم الدينية ، ضروري لإكمال الفهم البشري للأخلاق. يقدم الوحي إرشادًا مباشرًا من الله فيما يتعلق بما هو جيد وما هو سيئ، ويقدم إرشادات حول الإجراءات الأخلاقية التي يجب على البشر اتخاذها.[10]

علم الغزالي أن العقل والوحي مصدران مهمان للمعرفة الأخلاقية ، ويجب استخدام كليهما معًا لتكوين سلوك سليم وأخلاقي. يرى الغزالي أن العقل والوحي يتفاعلان ويعملان معًا لتكوين سلوك أخلاقي صحيح. يساعد العقل البشر في تفسير وفهم تعليمات الوحي ، بينما يوفر الوحي الحدود والتعليمات الأخلاقية التي يحتاجها العقل.

لذلك يُفهم عمل غزالي تهافت الفلاسفة بشكل أفضل على أنه نقد لمطالبة الفلاسفة باليقين المستقل عن الوحي، اليقين الذي يقوم على استخدام العقلانية والعقل[11]. كان التزامه بأولوية الوحي. يؤكد الغزالي بالتأكيد على أولوية الوحي على العقل في تهافت وأعماله الأخرى ، واضعاً الوحي كأهم مصدر للمعرفة[12]. بالحفاظ على هذا الالتزام ، لم يستبعد دور العقل في الدين. أيد الغزالي هذه الحجة من خلال رفع التقليد الإسلامي فيما يتعلق بالعقل ، وتقديم اعتذار عن السلطة النهائية لمجتمع الإيمان [13].

---

[9] M. Abul Quasem, The Ethics Of Al-Ghazali: A Composite Ethics In Islam, Caravan Books Delmar, New York, 1978, p.27

[10] الغزالي , مقدمة تحقيق كتاب الوجيز في الفقه , دار الأرقم , بيروت, 1997 م, ص مقدمة تحقيق لعلي معوض وعادل عبد الموجود

[11] Frank Griffel*, Islam and Rationality* (Leiden: Brill, 2016) p. x

[12] Syed Ali Ashraf, New Horizons in Muslim Education (London: Hodder & Stoughton, 1985), pp. 27-32.

[13] Frank A. Stone, 'Muslim Faith and Reason Discussion and Its Implications for Islamic Education',Muslim World, 60.4 (1970), p. 317.

لأنه ليس من الصحيح القول إن نظرية الغزالي الأخلاقية لا تمس العالم العقلاني، بل لها طبيعة صوفية فقط. على سبيل المثال ، يذكر أمين عبد الله في كتابه "فكرة عالمية المعايير الأخلاقية في الغزالي وإيمانويل كانط" أن أخلاق الغزالي دينية أو صوفية.[14]

ثم اتُهم الغزالي أيضًا بالفشل في إيجاد حلول فلسفية للمشكلات اللاهوتية، لأنه لم يغير فكرة مذهبه الباطني أبدًا. مثل هذه الآراء هي أيضًا غير دقيقة وتبدو مهملة. وفي الواقع، عاش الغزالي رحلة فكرية معقدة في حياته، حيث كان نشطا في البداية في الفلسفة، لكنه واجه بعد ذلك أزمة إيمانية وبحث عن حلول في التعاليم الصوفية الإسلامية. لذلك، فإن الدافع وراء تبني المبادئ التوجيهية الأخلاقية الصوفية قد يكون له علاقة ببحثه عن السلام الروحي والحقيقة، أكثر من مجرد "الفشل" الفلسفي.

خاتمة

يُعَدُّ الغزالي من الشخصيات المؤثرة في تشكيل الفكر الإسلامي الوسطي الذي يسعى إلى التوفيق بين العقل والدين. لعل من أشهر أعماله في هذا السياق كتابه "إحياء علوم الدين" و"تهافت الفلاسفة".

يرى الغزالي أن العقل أداة ضرورية لفهم الدين وتنظيم الحياة، لكنه وضع حدوداً للعقل في القضايا الغيبية التي لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال الوحي. انتقد الغزالي بعض الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا الذين أعطوا العقل دورًا مفرطًا على حساب النصوص الشرعية. الغزالي كان يؤمن بالتجاوز بين العقل والشريعة. يعتقد أنه يجب استخدام العقل في فهم الشريعة، ولكن دون أن يخالفها. هذا التوجه يظهر في كتاباته التي تؤكد على ضرورة استخدام العقل في فهم القوانين الدينية. بالنسبة له، العقل لا يعارض الإيمان، بل يدعمه ويكمله، لكن لا يمكن أن يكون المصدر الوحيد للمعرفة في المسائل المتعلقة بالعقائد.

[14] M. Amin Abdullah, The Idea of Universality of Ethical Norms in Ghazali and Immanuel Kant states, Turkey Diyanet Vakfi Yayinlari, Ankara 1992, p.XI

كان الغزالي ينظر إلى التدين من زاوية شمولية تشمل العبادات الظاهرة والعقائد القلبية والتزكية الروحية. في كتابه "إحياء علوم الدين"، ناقش الغزالي أهمية الأخلاق، التقوى، والنية الصالحة في كل عمل يقوم به الإنسان. كان يرى أن التدين الحقيقي يتطلب التوازن بين أداء الواجبات الدينية والارتقاء الروحي من خلال التصوف السني القائم على الزهد، الإخلاص، وتطهير النفس.

الغزالي سعى للتوفيق بين العقل والتدين من خلال تحديد مجالات لكل منهما: العقل له دور رئيسي في فهم الأمور الدنيوية وتفسير الشرائع، بينما الدين يتناول الأمور الغيبية والأخلاقية التي لا يمكن للعقل إدراكها بشكل كامل. يعتبر الغزالي أن كمال التدين لا يتحقق إلا باندماج العقل مع الإيمان، حيث لا يتم التضحية بأحدهما على حساب الآخر.

بهذا الشكل، مثّل الإمام الغزالي جسراً بين العقلانيين الذين اعتمدوا على الفلسفة والمنطق وبين المتصوفين الذين ركزوا على الزهد والروحانية، فجمع بين الجانب النظري والعملي في الدين.

المراجع

العربية

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرف, بيروت، ، (دون السنة),
_____، ميزان العمل ، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،(1964م)
_____، تهافت الفلاسفة, دار المعارف, القاهرة, مصر, ج1, ص:246
_____، مقدمة تحقيق كتاب الوجيز في الفقه , دار الأرقم , بيروت, 1997 م, ص
مقدمة تحقيق لعلي معوض وعادل عبد الموجود

الأجنبية

Abdullah, M. Amin, *The Idea of Universality of Ethical Norms in Ghazali and Immanuel Kant* (Ankara: Diyanet Vakfi Yayinlari, 1992).

Ashraf, Syed Ali, *New Horizons in Muslim Education* (London: Hodder & Stoughton, 1985).

Bano, Naseema, "Ethical Philosophy Of Al-Ghazali: An Analytical Insight", *International Journal in Management and Social Science*, Vol. 05, Issue-07, (July, 2017) ISSN: 2321-1784.

Bourke, Vernon J., "Rationalism," in *Runes* (1962).

Griffel, Frank, *Islam and Rationality* (Leiden: Brill, 2016).

Lacey, A.R., *A Dictionary of Philosophy* (London: Routledge and Kegan Paul, 1996).

Quasem, M. Abul, *The Ethics Of Al-Ghazali: A Composite Ethics In Islam* (New York: Caravan Books Delmar, 1978).

Stanford Encyclopedia of Philosophy, Rationalism vs. Empiricism First published August 19, 2004; substantive revision March 31, 2013 cited on May 20, 2013. نسخة محفوظة 9 واي باك مشين أغسطس 2019 على موقع.

Stone, Frank A., "Muslim Faith and Reason Discussion and Its Implications for Islamic Education", *Muslim World*, 60.4 (1970).